احتمع الناس لرؤيته، فكان في أحسن تعبية، قد ملأت العساكر الأرض كثرة، فسار أمامهم والعلام الأبيض قدامه مع الرحالة، على عادة الأمر العزيز من الترتيب في المشي، والعلامات والساقات والطبول وراءه، متربصاً في المشي وملتوياً فيه ليلحق الجمهور، ويتصل به من عسكره المنصور الصغير والكبير، وقد قدم أمامه مصحف صاحب[1] رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه على حمل مرتفع، وقدام هذا المصحف مصحف الإمام المهدي [2] رضي الله

(1) يعتبر ابن صاحب الصلاة من أبرز المصادر وأدقها وصفاً لمصحف عثمان بن عفان، وقد تحدث الشريف الإدريسي عن مصحف موجود بمسجد قرطبة فيه أوراق من مصحف عثمان بن عفان وهو المصحف الذي خطه بيمينه رضي الله عنه وفيه نقاط من دمه، وذكر ابن بشكوال أنه نقل من قرطبة أيام عبد المؤمن بن علي وبأمره وأكّد ابن مرزوق أنه مصحف عثمان بن عفان باطباق أهل الأندلس، هذا وقد كان من خبر نقل المصحف العثماني من قرطبة إلى مراكش بعد أن كان أولاً بمسجد دمشق ما ذكره ابن رشيد في رحلته عن أبي زكرياء يحيى بن أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي عن كتاب جده الوزير أبي بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل المذكور قال: وصل إلى عبد المؤمن ابناه السيدان: أبو سعيد وأبو يعقوب من الأندلس وفي صحبتهما مصحف عثمان بن عفان فتلقى وصوله بالإجلال والإعظام، وقد تمنى عبد المؤمن في أعماق نفسه أن لو كان يملك هذا المصحف لكنه ـ وهو يقدر شعور القرطبيين إزاء المصحف ـ كان لا يفصح بذلك لكن الذي حدث أن أهل قرطبة قرروا بعد أن يتقدموا به هدية لعبد المؤمن.. وهكذا جمع الخليفة الصناع والمتقنين من سائر بلاد المغرب والأندلس من المهندسين والصواغين والنظامين، والحلائين النقاشين والرواقين والمرصعين والنجارين والرسامين المجلدين وعرفاء البنائين وصنع له أغشية بعضها من السندس وبعضها من الذهب والفضة، وحلاه بأنواع اليواقيت وأصناف الأحجار الغريبة النوع، وقد حمله معه لأول مرة لزيارة قبر المهدي سنة 553، وقد استمر عند عبد الموحدين إلى أيام المعتضد بالله علي بن ادريس بن يعقوب المنصور حين توجه لتلمسان سنة 645 حيث قتل ثم عثر بنو عبد الواد على المصحف وملكه بعد أبو الحسن المريني إلى أن كانت حادثة البحر سنة 750 فضاع في جملة ما ضاع من فرائد ويقل الاستقصاء أن مصحف عثمان خلص لابن الأحمر الذي أهداه للسلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 692.

الإدريسي. نزهة المشتاق ص 210، العمري: مسالك الأبصار، تحقيق أحمد زكي باشا ص 195 ـ ابن مرزوق السند الصحيح الحسن مخطوط بالاسكوريال تحت رقم 1666 ورقة 113 ـ 116 (ب) النفح 2 ـ ص 135 الاستقصا ثاني 112 ـ 113 ـ 115 ثالث هـ 75 كلمة للفقيه محمد التطواني بمناسبة عيد العرش 1947 ص 11 ـ 12 ـ 13

(2) تنقل بعض المصادر أنه كتب بخط ابن تومرت وإنه دون مصحف عثمان في الحجم على بفضة مموّهة بالذهب. المعجب ص 253

عنه وعلى مصحف عثمان كلة حمراء تصونه، والمصحف المكرم منظم حول حفاطه بالجوهر النفيس والياقوت الأحمر، والأصفر، والأخضر الغريب، والزمرد الأخضر النفيس العجيب، قد جلبت أحجار الياقوت والزمرد والجوهر إلى الخليفة الأول الرضي خليفة المهدي، ثم لابنه أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين، ونظم بها حفاظ هذا المصحف المكرم، وكلّل بها جوانبه إكليلاً، واتخذه من عثمان صاحباً وخليلاً، يتبرك به بكرة وأصيلاً، لم يتقدم إلى هذا الأثر الكريم أحدٌ قبله من الملوك، ولا انتهض أن يدخل نفسه في هذا الفن المسلوك. [302] فلقد حدثني عمر بن مرجى الإشبيلي[1] أحد الناظمين له أن فيه جوهرة تشبه حافر الفرس، وذكر لي أنه حدث أنها الجوهرة التي كانت عند أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون[2] صاحب مصر ودمشق وافريقية والزاب[3]، وأن الأيام وانتقال أحوالها وعجائب اقبالها لهذا الأمر العزيز، جَلَبتْ ذلك إلى ملك أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين. وقال: إن الذي حوالي جوانب حفاظ هذا المصحف المكرم من الذخائر لا يأتي عليها في القيمة عدد، ولا يأخذها عدد، وحين رأى الناس والنظارة ما ذكرته رأوا عجباً، وأمراً مضرباً، تيقنوا في ذلك دين الخليفة ويقينه من احتياله، بكتاب الله تعالى واهتمامه به وعظيم اقباله، وكان مع الرايات والطبول التي تقدم ذكرها وزيره أبو العلى ادريس بن أبي اسحاق بن جامع، والشيخ الزاهد ابو محمد عبد

(1) لم أقف على ترجمته لكن ابن الآبار في التكملة (نشر العطار) ترجم لأبيه رقم 1847

(2) هو الأمير خمارويه جحد أبناء ابن طولون الثلاثة والثلاثين كان ملكاً لمصر والشام بعد موت أبيه بمبايعة الجند له يوم الأحد العاشر من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين، وقد توفي سنة اثنين وثمانين ومائتين وقد كان معروفاً بتحفه النادرة سيما الجواهر التي خلفتها زوجه بوران
ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ثالث طبعة دار الكتب المصرية صفحة 50 ـ 64

(3) لم تذكر المصادر التي بين أيدينا أن ولاية أبي الجيش خمارويه ابن أحمد ابن طولون امتدت عملياً إلى الزاب، وإن كنّا نعرف أن أخاه العباس له مواقف بمدينة (لبدة Leptis) التي توجد بين مدينة طرابلس ومدينة مصراته على الطريق الساحلي.
ابن تغري ـ النجوم الزاهرة ثالث، صفحة 21 ابن خلدون، المجلد الرابع صفحة 645، الزاوي ـ تاريخ الفتح في ليبيا

الواحد بن عمر صاحب المهدي[1] رضي الله عنه، والشيخ ابو سعيد يخلف بن الحسين[2]، وابو محمد عبد الله بن ابي حفص بن تفريجين[3]، ومن أولاد الجماعة أبو عبد الله[4] محمد بن أبي علي أزناق وأخوه أبو يحيى[5] وابو محمد عبد الله المالقي شيخ طلبة الحضر، والقاضي أبو موسى عيسى بن عمران[6] قاضي المحلة والجماعة. وعلى هذا الترتيب الشريف في الحركة السعيدة، فنزل في ذلك اليوم أولاً [303] في إحدى دوره المتخذة له على رسم والده في النزول فيها بوادي تانسفت[7]، على نحو ثلاثة أميال من حضرة مراكش، وعساكره محدقة به من كل جانب، وكان السعر[8] في هذه الأيام المحلّة المؤيدة في هذا اليوم رخيصاً على تكامل الخلق فيها، فالدقيق: الربع[9] الواحد منه بدرهمين، والشعير خمسة وعشرون مداً[10] بدرهم! واللحم ستون

(1) راجع التعليق رقم 4 صفحة 324

(2) راجع التعليق رقم 1 صفحة 180

(3) الشيخ ابو حفص هذا من أهل تينمل، وتفريجين تكتب في (أخبار المهدي) هكذا (تفراكن) أنظر البيذق 33 — 34 — 35

(4) نجد هذا الإسم هنا كاملاً باسمه وكنيته ولقبه، ولذا نرجح أن ذكره في صفحة 22 تحت اسم عبد الله وكنيته محمد خطأ مصدره التباس الذي وقع للناسخ بين هذا الشخص الذي استمر ذكره مع أخيه إلى هذا التاريخ 566، وبين الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي حفص بن علي الذي استشهد منذ سنة 557 بمرج الرقاد.
راجع التعليق رقم 3 صفحة 93 والتعليق رقم 3 صفحة 120.

(5) راجع التعليق رقم 4 صفحة 93

(6) كان قاضياً للجماعة بحضرة مراكش، وقد كان فريد زمانه ديناً وعلماً وأدباً، توفي في الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاث وسبعين، ابن عذاري مخطوط 119

(7) راجع التعليق رقم 1 صفحة 291

(8) ولع ابن صاحب الصلاة بتتبع الأسعار طيلة تنقل الجيش، وهو انتباه هام منه لناحية من نواحي الحياة الاقتصادية في أثناء الظروف العصيبة، وكما فعل هذا هنا كان كأنه كذلك في غزوة وبْذة، وكذا في غزوة شنترين كما ينقل عنه ابن عذاري، انظر البيان المعرب ص 128

(9) الرُّبْع (ج أرباع) - كما ورد في الكتب التي تناولت الحديث عن الحسبة - يزن 25 رطلاً، والرطل يساوي تقريباً 504 كرام بالوزن الحالي فالربع إذن يزن اثني عشر كيلو وستمائة كرام
Colin et Lévi Provençal: un Hispanique de Hisba. Paris. page 27

(10) لم يعين ابن صاحب الصلاة هل القصد إلى المد النبوي أو إلى مد اصطلاحي، ونتتبع كلامه الآتي ×

أوقية[1] بدرهم، وأمر لأهل المسائل بقضاء حاجاتهم، والافضال عليهم، وكتب الظهائر لهم، واتصلت المسار، وارتفعت المضار، والحمد لله على ذلك، ورحل أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين في جنوده من وادي تانسفت يوم الأحد الخامس من رجب الفرد المؤرخ، اليوم الثاني من حركته، سائراً وجهته، متنقلاً في محلاته، فنزل في داره بدشر الحطابة[2]، واحتلّ فيها بمن حمل من عياله على رسم والده الخليفة رضي الله عنهم، ثم ارتحل يوم الاثنين إلى داره بتونين[3]، ثم الثلاثاء إلى توقطين[4]، ينزل في كل منزل في داره وعساكره محدقةٌ به، ثم تابع الحركة والانتقال على هذا الترتيب حتى

× نجد أنه دائماً ينعت المد بالمراكشي فلذلك نرجح أن القصد هنا كذلك إلى المد المراكشي، ومعلوم أن المد النبوي يعادل 400 كرام إذا كان من الشّعير، و 525 إذا كان من القمح، أما المد المراكشي فهو بالقطع شيء غير المد النبوي
راجع صفحة 354 — 367 — 269 — 511
الصبيحي: إصلاح الفجر، عن المسائل العشر، الرباط 1940 ص 24

(1) ست عشرة أوقية تعادل رطلاً، وهكذا فإن ستين أوقية تعني تعني أربعة أرطال إلا ربعاً (أي كيلو و890 غرام)
Colin et Levi Provençal, un manuel Hispanique Page 27

(2) دشر الحطابة: اسم لمكان اندثرت معالمه الآن، ويظهر أنه كان للخليفة هنا قصر، وأن والده عبد المؤمن كان يعتاد كذلك النزول في هذا المكان، وقد نقل ونسي اللفظ بالحرف إلى الأحرف اللاتينية (Dasral — Hataba)

(3) تونين (Tunin) يذكر الإدريسي في نزهة المشتاق أن مدينة مراكش إلى مدينة سلا على ساحل البحر مراحل أولها تونين ... ومن تونين إلى قرية بيقطين مرحلة ثم مرحلة ثم قرية عمسيق ثم قرية أم ربيع ... ومن قرية أم ربيع إلى قرية إصيسل ... ومن هذه إلى قرية إنفال ويقال لها دار المرابطين ومن انفال إلى قرية مكول ... ومن مكول إلى قرية انكسيس، ومن قرية ايكسيس إلى مدينة سلا وموضعها على ضفة نهر اسمير ... ولم نستطع معرفة موقع تونين إلا أن ويسي يرجح أن تكون هي المكان المعروف حالياً باسم سيدي بو عثمان على بعد 35 كيلو متراً من شمال مراكش
نزهة المشتاق ص 70

(4) يذكر الإدريسي كما سلف أن المسافة بين تونين وتوقطين مرحلة وهو يرسمها كذا (بقطين) ويرسمها مخطوط ابن عذاري ص 124 (توقطين) ويعتقد ويسي أن توقطين هي البقعة المعروفة تحت اسم «زاوية العدم» على بعد 23 كيلو متراً شمال تونين

وصل وادي أم ربيع[1] وقد عقد عليه جسر[2] بقنطرة وثيقة من القوارب وآلات الخشب الماسكة لها في عباب الماء، فنزل في داره[3] المكرمة أيضاً على قرب من القنطرة المذكورة، وأمر لكلٍّ من الموحدين بيومٍ من الأيام، يجوزون فيه حذراً من الزحام، [304] فتعرق القنطرة المذكورة، فأجازوا عليها في أيام، وتزاحم العرب في الإجازة حتى تقاتلوا وقتل واحد منهم آخر، فعزموا على الفتنة بينهم، فارتفع الخبر إلى أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين فوَدَاهُ من ماله، وسكنت فتنهُم، واحتل رضي الله عنه بداره بالجبسل[4]، فأمر بالمواساة من الشعير والدقيق واللحم عن زادٍ لجميع العساكر إلى أيام معلومة. ثم رحل عن هذا الموضع على الترتيب المذكور من المراحل المعلومة لأبيه رضي الله عنه حتى وصل داره بوادي وسنات[5] على مقربة من مكـول[6] فأمر مرة ثانية بالمواساة من الشعير للعلف والدقيق واللحم للزّاد لجميع العساكر، وتمادى

(1) بحث الشريف الإدريسي وادي أم الربيع على وقته بأنه كان كبيراً وإنه كان يجاز بالمراكب ولكنه لم يرد عنده الدار المكرمة التي نزل بها الموحدون فلعلها لم تكن قبلهم نزهة المشتاق ص 70.

(2) قد يوجد فرقٌ بين الجسر والقنطرة لدى الموحدين، فالجسر متنقل وفي الاستطاعة تفكيكه عند الحاجة وعلى العكس من ذلك القنطرة التي تظل ثابتة. ويقصد هنا بالجسر - كما يلوح من ثنايا النص - القنطرة المؤقتة.

(3) لم نعثر على أثرٍ موحدي في هذه الناحية اللهم «رباط تيطه» الذي يبعد عن مدينة الجديدة بنحو إثني عشر كيلو متراً، فهل كانت الدار المكرمة في ناحية هذا الرباط؟

Basset et Terrasse Le Ribat de tit Fes TVII 1927p 117

العبدي الكانوني آسفي وما إليه قديماً وحديثاً 1953 ص 44 — 45.

(4) ورد ذكرها لدى الشريف الإدريسي أيضاً وقد تردد الأستاذ دوزي ناشر النزهة في قراءة اسمها بين كلمة الجسل أو الجبيل أو ايجيسل، وهذا المكان هو الذي يعرف اليوم بالجيسير (Guisser) بالشاويه.

Ricard Maroc, Guide Bleu 112 — 113 Huici page 248.

(5) ذكر هذا الوادي إلى جانب بعض الأمكنة التي ظلت هي الأخرى مجهولة، وكل ما نعلم عنه أن الإدريسي كما سلف ذكر بين قرية مكول مكاناً أسماه (انفال) ويقال لها دار المرابطين وإنه ذكر بعد معيلة وادياً أسماه وادي وسنات.

(6) أنظر التعليق رقم 1 صفحة 211

مشيئه على ترتيبه حتى قرب من المهدية[1] المجاورة لمدينة سلى[2]. فنزل في موضع فصيح[3] من الأرض مع من تقدم ذكره من الوزراء والأشياخ من الموحدين والطلبة الكبراء، وأمر بإحضار أربع راياتٍ صغار، في أربعة رماح صغار، وفي أعلى كل رمح تفاحةٌ من ذهب تتلألأ ضياء وشعاعاً، والرايات ملونات بالخلدي[4] الأحمر، والأصفر والأبيض[5]، وجعل تلك الرايات الأربع

(1) مدينة المهدية يرادُ بها المدينة التي بناها عبد المؤمن منذ الأيام الأولى على مقربة من سلا وهي مدينة الرباط الحالية أو قصبة الوداية، وقد تُنوسي هذا الإسم التاريخي (المهدية) اليوم كما تنوسي اسم المهدية «متاع ابن مليح». وقد سماها عبد المؤمن هكذا تيمناً باسم المهدي بن تومرت ولا يبعد أن يكون قصد إلى تقليد الفاطميين في تسميتهم للمهدية الشرقية، ولا ينبغي أن تلتبس المهدية هذه بالمعمورة التي تحمل هذا اللقب منذ أواخر القرن الحادي عشر الهجري فقط، هذا و(المهدية) أو رباط الفتح من أبرز آثار الموحدين التي صمدت إلى الآن وقد يكون في المؤرخين من أعطاها اسم قصبة تاشفين (؟) هذا وليس من (المهدية) «المدرسة» التي بجانبها فإنها من مؤسسات المولى الرشيد العلوي. البيذق ص 94 ـ 113.
معجم البلدان، صبح الأعشى جزء 5 ص 169 ـ الحلل الموشية ص 112

Caille la ville de Rabat 44

Terrasse L'art Hispano — Maresque, page 280 — 281 — 287 — 288.

Pérès la poesie a fes Sous les Almoravides et les Almohades

Hespéris 1934 page 30

وانظر التعليق رقم 1 ص 70.

راجع التعليق رقم 3 صفحة 112 والتعليق رقم 2 صفحة 147.

(2) راجع التعليق رقم 3 صفحة 112

(3) كذا في الأصل ويظهر أنه تحريف لكلمة فسيح

(4) لم نعثر لهذه الكلمة على معنى في قواميسنا القديمة لكنه اسم معروف في بعض الكتب الأندلسية ومعناه النَّسيج الحريري الدقيق، وهكذا تكون الصفات الثلاثة الآتية كلها نعتاً للخلدي، أي أن هذه الراية الموحدية تتألف من نسيج أحمر وأصفر وأبيض

Dozy Sup T I page 390

(5) يعطي ابن صاحب الصلاة هنا وصفاً دقيقاً لألوان الرايات الموحدية، فهي تعتمد - كما تقدم - على الأبيض والأصفر والأحمر، ونحن نعرف أن (العلام الأبيض) الخالص كان هو علم المهدي بن تومرت وعبد المؤمن أو بالحرى هو علم الأمبراطورية الموحدية، كما نعلم أن اللون الأحمر كان هو اللون المحبب عند أشراف العرب هذا إلى أن اللون الأصفر يرمز عند الذين يهتمون بخصائص الألوان إلى الأرض وثروتها. فهل يكون هذا العلم الموحدي الإضافي يشير لوحدة البربر - ولون رايتهم بيضاء - مع العرب ولونهم هو الحمرة، كما يشير في اللون الثالث إلى

في أركان تابوت المصحف المكرم: مصحف عثمان رضي الله عنه ثم استوى على صهوة فرسه، ومشى على الهيئة المتقدمة، والعساكر وراءه من الموحدين والعرب [305] قد ملأوا بسيط الأرض، واتسعوا فيها بالطول والعرض، فلما قرب من المدينة أمر بتقديم الطبول والرايات الكبار أمامه مع المصحفين(1) المذكورين مع الساقة، على خلاف العادة في المشي(2)، تنويهاً وتعظيماً للتبريز والترتيب، وهو رضي الله عنه متقدم والأشياخ من الموحدين، والوزير والكتاب والطلبة وراءه، حتى وصل باب مدينة المهدية، فرد وجهه إلى الناس واستقبلهم وهو راكب على فرسه وعالهم، وأمرهم بالنزول في تلك الأرض العريضة، ودخل إلى داره(3) بالمهدية المذكورة. وكان هذا التبريز للنظارة من احدى العجائب، وافخم الظهور والوفور للعساكر والكتائب، وكان دخوله المهدية المذكورة يوم الاثنين الموفى عشرين من رجب الفرد من سنة ست وستين المؤرخة. فالذي مشى في الطريق سبعة عشر يوماً.

- ثروة الأرض؟ لسنا ندري، لكن الملاحظ أن معظم هذه الألوان ظل معروفاً إلى الآن في حل بلاد أفريقيا وقد حاول بعض المتتبعين لدراسة العلم العربي أن يجد أثراً مضبوطاً لألوان الرايات المستعملة في المغرب قديماً لكن المصادر كانت تخذل رحال البحث
الجراري القائد من رفع الراية ص 12 .
Debreuil Les pavillons des états Musulmans
Hespéris Tamuda 1960 T I page 548

(1) في الأصل المصحف بالإفراد وهو خطأ من الناسخ بدليل السياق.
(2) لقد كانت العادة أن الطبول تقصف وراءه، وكانت الراية البيضاء وحدها هي التي تتقدم الموكب. راجع ص 301
(3) هذه الدار لا تزال آثارها - فيما يعتقد - داخل القصبة، ويظهر لي أن هذه الدار صلة بالمنزل الذي يوجد في أقصى طريق الجامع في الزاوية التي تؤدي إلى الساحة المشرفة على المحيط، ذلك المنزل يحمل اليوم اسم (دار البركة) هذا الاسم المستوحى دون شك من لفظ (البركة) المعروف استعمالها لدى الموحدين CAILLE la ville de Rabat P 255

وموضع(1) هذه المدينة المسماة الآن بالمهدية وبرباط الفتح كان في أيام السيرات فيه برج(2) للسكنى، وما حواليه أرض محرث براح ومسرح، متملك للمخزن ولأهل سلى(3) ولإبن وجاد(4) من أهل إشبيلية، فاشتراه الخلفاء من

(1) بفضل هذا الاستطراد الذي يذكره ابن صاحب الصلاة هنا اكتشفنا صفحة جديدة من تاريخ الرباط ظلت إلى الآن مجهولة من طرف الذين كتبوا عن الرباط فيما نعلم. راجع التعليق رقم 4 ص 112
(2) في المؤرخين الافرنج من يرى أن هذا البرج كان أول الأمر من بناء الرومان لغرض الدفاع عن مدينة شالة العتيقة، وفي المؤرخين من يرى أنها قصبة تاشفين.
بوجندار مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، الرباط 1345 ص 39 — 40
Caille la ville de Rabat p 35

أنظر التعليق رقم 1 ص 355
(3) لم يذكر ابن صاحب الصلاة: لمن في أهل سلا كان هذا النصيب؟ والواقع أنه كان ملكاً لبني القاسم والمعروفين ببني العشرة، ولعله كان ملكاً بالذات للقاضي علي بن القاسم بن محمد بن عشرة قاضي سلا الذي مدحه عيسى بن الوكيل مستجدياً بقصيدته التي يقول فيها

سل البرق إذ يلتاح من جانبه البرقا   أقرطي سُليمى أم فؤادي حكى خفقا

غريبٌ بأرض الغرب فرق قلبه   فأوت سلا فرقاً وبائرةً فرقا

خبيا؛ بعض الطرف إلا عن العُلى   وحرص كباه الصَّرْف في الحزن سل أنقى

سلعنا بتنعماك الأماني كلها   فما نقيت امنيةٌ عبّر أن تنقى

وكان عيسى بن الوكيل مستعملاً في الدولة اللمتونية فحكى أنه انكسر عليه مال جليل يبلغ عشرة آلاف دينار فقبض عليه، وأشخص منكوباً إلى مراكش، فلما بلغ الموكلون به مدينة سلا وبها يومئذ بنو العشرة رباب السماح وأرباب الأمداح، قال هذه القصيدة يمدح القاضي أبا الحسن منهم ... فلما وقف عليها قاضي سلا بادر إلى المخاطبة بضمن المال وتحمله. ... فأسعف طلبه وعاد ابن الوكيل إلى عرباطة
البيدق: أخبار المهدي ص 66
الحميري الروض المعطار، نشر بروفنصال ص 197 - 198 - راجع صفحة 173 .
السائح العقد المهصور (مخطوط).
(4) يظهر أن ابن وجاد هذا كان من أعيان إشبيلية على ذلك العهد، وأنه تاق لسكنى العدوة فتملك نصيباً من الأرض على مقربة من سلا، وأن وجاد هذا هو بدون شك - الذي ترجم ابن الآبار =

أربابه وخلص لهم. وكان أهل الأثر يقولون في ذلك التاريخ: سيكون في هذا الموضع مدينة عظيمة لخليفة! فلما وصل أمير المؤمنين الخليفة رضي الله عنه إلى سلى في عام[1] خمسة وأربعين وخمس [306] مائة لاستطلاع أحوال جزيرة الأندلس، واستدعاء شيوخها وطلبتها من الموحدين وثوارها الأندلسيين، على ما تقدم الذكر به في[2] هذا التاريخ، أمرَ ببناء قصبة حصينة في ذلك الموضع على فم البحر الداخل إلى سلا، وأقام بمحلّاته المؤدية على عين غبولة[3]، والفعلة معه والمهندسون، فأجروا لها الماء من عين غبولة المذكورة في سَرب تحت[4] الأرض حتى إلى قصبة المهدية المذكورة، ودام اشتغال الأمر بذلك شهوراً وهو مقيمٌ بعسكره حتى وصل الماء المذكور إليها، فصنع له سقاية[5] لشرب الناس والخيل وسقي الأرض حواليها، فصارت فيها البحائر والجنات المغروسات، ثم اتصل الأمر العزيز بسكناها بالناس وبناء الديار

= لحميده، وقد ورد في ترجمته هذا الحميد أنه وحّاد ابن أحمد بن أحمد بن وحّاد الأزدي من أهل اشبيلية ويكنى أبا الحسن، وقد سمع من أبي عبد الله الفخار وغيره، وكان أديباً له حظ من قرض الشعر، وسمّاه أبو الربيع بن سالم في مشيخته وهو في عداد أصحابه، وقد ترجم له أيضاً ابن الزبير في صلة الصلة.

ابن الأبار: التكملة. نشر كوديرا رقم 836 ـ ورقم 1991 ـ ونشر جونثاليث رقم 2733. ابن الزبير: صلة الصلة نشر بروفنصال الرباط 1938 رقم 335

(1) البيذق ص 113 ـ القرطاس ثاني ص 145 — 146

(2) يعني في السفر الأول، وقد خذلنا ابن عذاري هنا فلم يرد صدى هذه الأخبار.

(3) أنظر التعليق رقم 1 ص 151. استقصاء 2 ص 198، القرطاس 1 ص 162.

(4) امتاز المهندسون المغاربة بمقدرة فائقة في عمليات تسريب المياه في أجواف الأرض حسب أصول حسابية مدققة، وأن الذي يطالع ما ورد هنا أو ما يرد عندما تقرر إجراء الماء لسقي البحيرة بداخل اشبيلية. وكذا ما ورد في كتاب الاستبصار، عندما أمر الخليفة أبو يعقوب سنة 580 بجلب الماء إلى مدينة سبتة من قرية بليونش، وكذا ما ورد في القرطاس عندما تقرر جلب الماء لميضأة جامع القرويين من مدينة فاس، أواخر القرن السادس ليشهد بما لهؤلاء العرفاء المغاربة من باع في هذا الصدد.

الاستبصار نشر زغلول صفحة 137 ـ 138، كتاب المن بالإمامة صفحة 323 القرطاس طبعة الرباط صفحة 99 ـ 100 ـ 101.

(5) ما تزال إلى الآن آثار السقايا التي يتحدث عنها ابن صاحب الصلاة.

حواليها والأسواق، ولم يزل الخلفاء يخصونها بالاهتمام، وإذا خرجوا في الغزوات يلمون بها غاية الإلمام، ويجعلون لها حظاً وافراً من التشريف لها بالاختصاص فيها والمقام، حتى غدت عراقاً[1]! وتلاحق الناس بها لحاقاً، وأشرقت الآمال فيها إشراقاً، وأمير المؤمنين بن أمير المؤمنين هذا هو الذي مصّرها ومهدها، وابتدأ بناء أسوارها من جهة الجوف والغرب.

فلنرجع الآن إلى ما كان من الأوامر العزيزة بعد الوصول إلى المهدية. ولما كان في ظهر يوم وصوله أمر بتتميم الصلاة إشعاراً بأن الإقامة[2] أياماً، [307] وفي اليوم الثاني من وصوله أمر بتمييز العساكر المؤيدة مرةً ثانية من التمييز الأول بحضرة مراكش وحضر على تمييز العرب السيد أبو زكريا، وأبو محمد عبد الله المالقي، لمعرفته بهم وبأنسابهم وأمانته، وسياسته وزكاته، فكمل تميُّزهم على أصح عمل، وكذلك تَميَّزَ الموحدون، فصح عددهم وعند احتلاله بها ألفى الماء الجاري المسرب الذي جلبه أبوه رضي الله عنه في عام خمسة وأربعين المؤرخ، فسد جريه، وأسن ماؤه، وتعطّل في البطاح والبحاير سقيه، فأمر بإعادته[3] إلى حالته الأولى، وزاد فيه بناء صهريج عظيم متسع يجتمع فيه الماء، ثم يجري من ذلك الصهريج إلى السقاية المذكورة

(1) أصل كلمة عراق أيراه أي ساحل البحر، وقد عربته العرب، ولذا قال الخليل: العراق شاطئ البحر، وسمي كذلك لوقوعه على شاطئ دجلة، وقد ورد ذكره مقروناً بمفهوم الثروة والرخاء:

(فتُغلل لكُم مـا لا تُغلّ لأهلها ... قُرىً بالعراق من قفيزٍ ودرهم)

هذا وقد جاء في ابن خلكان أن بناء الرباط على هيئة الاسكندرية، وهم كانوا يعنون دون شك أن تصبح إحدى عواصم الإسلام في الجناح الغربي، ولم يفت البروفيسور طيراس أن يتساءل عن وجود إسم الاسكندرية هنا دون وجود اسم بغداد أو دمشق؟ وأنت ترى هنا أن ابن صاحب الصلاة ظهر له أن يشبهها بالعراق أي ببغداد عاصمة العراق، لوقوعها على شاطئ وادي أبي رقراق ولما كان للعراق من مكانة...

المعجب صفحة 266. Terrasse: L'Art Hispoano — mauresque

جاسم الخلف: جغرافية العراق صفحة 434.

(2) يظهر أن هنا كلمة سقطت للناسخ: (تطول) أو (تمتد).

(3) من هنا يتأكد أن المنصور ـ ولو أن أباه صاحب الرباط ـ يعيد للمهدية حياتها ويجعل منها مدينة حقيقية. ابن القاضي، الجذوة ص 349.

حيث شرب خيل العساكر ومواشيهم ومواشي الناس وشربهم، وكذلك ألفى الجسر الذي كان قد نصبه أبوه رضي الله عنه ما بين سلا وبين المهدية المذكورة على البحر[1] لإجازة الناس عليه، قد خرّقته البحور، وهدمته الدهور، فأمر بنصب[2] جسر آخر إلى جانبه أعظم منه بناء، وأساساً واعتلاء، من الحجر العادي والجيار الثابت لأمواج البحار، فصنع في أقرب مدة، بأعظم آلة وعدة، ووصله بالقوارب[3] والخشب، حتى جاء في أمن له من الأزمان والحقب، ثم تمّم رضي الله عنه إعطاء الكسوات للموحدين والأشياخ من كل قبيل ولطلبة الحضر والعرب، بأن أعطى كل واحد [308] ستة أثواب: عمامة وغفارة، وقبطية مبطنة، ومقطعين مهدويين[4] وكساء، وخص كثيراً منهم بأخبية

(1) يُسمي بعض المؤرخين الوادي الذي يفصل بين سلا والرباط بحراً كما تسميه بذلك العامة الآن، وذلك على سبيل التجوز بيد أن فيهم من أعطاه اسماً خاصاً، لكنهم كانوا يختلفون في الاسم فبينما نجده عند البكري وادي واسيفن نجده عند الإدريسي والفزاري يحمل وادي أسمير، ونجده عند المراكشي يحمل اسم وادي الرمان. ونجده عند ابن حوقل يسمى بوادي سلا وعند ابن عذاري (بحر سلا)، وسمعنا بتسميته بوركراك عند ليون الأفريقي والناصري كذلك، وقد حاولت أن أجد أصلاً لهذا الاسم الطاري، ويمكن أن يكون الوادي منسوباً إلى قبة لالة ركراكة التي توجد بأطلال مدينة شالة المشرفة على الوادي وقد أشار بعض الأدباء الغارسة إلى أن أصل التسمية من رقرقة الماء وصفائه. ولا ننسى أن نذكر أن صاحب الاستبصار يحمل وادي واسيفن هو أم ربيع، كما لا ننسى أن نذكر أنه توجد قرب مدينة سلا إلى الآن عين تحمل اسم أسمير وهي تصب في بوركراك. هذا وإن وادي بورقراق ينحدر من الأطلس المتوسط ويصب في المحيط بين سلا والرباط وطوله 250 ك. م.
الإدريسي - نزهة المشتاق ابتداء من صفحة 7 - الاستبصار 141 - 185 - المراكشي ص 358 - الناصري، الاستبصار جزء 6 ص 12 - ابن عذاري ص 26.
Leon l'Africain: Description de l'Afrique Traduits par A. EPAULARD — page 543
BASSET — Provençai challa, Hes 1922 T. II. P. 415

(2) لعل هذا الجسر هو الذي كان يبتدىء عند مدخل سيدي مخلوف، وقد أدرك القاضي السائح طرفاً منه صارياً في الوادي قبل أن يقوض لتوسعة ساحل النهر. الغصن المهصور مخطوط ورقة 16

(3) يذكر صاحب الاستبصار صفحة 141 أن القنطرة مركبة من 23 معدية

(4) لم أتأكد من صفة المقطع المهدوي، بيد أن أغلب ظني إنه يعني بالمقطع القميص، فإن هذه الأنواع من الثياب كلها كما نرى تكون - عادة - فوق الثوب الذي يلي الجسد وهو القميص

وخيل عتاق، إحساناً وإنعاماً وامتناناً، وتمم قضاء حوائج الناس ومسائلهم، وتصدّق على الضعفاء الماسورين. فلقد رأيت[1] شيخاً من بني الموصلي من أهل بطليوس رأسه كالثغامة بياضاً، قد تعرض له في هذه الغزوة السعيدة في طريقه وقال له: إنه أسر يوم دخول النصارى مدينة بطليوس وأن له ثلاث بنات، ليس له إليهن حيلة بما يسترهن! فأمر له بمائتي دينار في فديته، وبثلاث ماية مثقال عن جهاز لبناته! ولما كمل النّظر المذكور، والفصل المأثور، أمر بالحركة وعبور البحر على الجسر إلى سلى، إلى الغزوة الميمونة، وذلك في عشية يوم الجمعة التاسع من شهر شعبان المبارك من سنة ست وستين المؤرخة، ولمّا كان صبيحة يوم السبت - الثاني من يوم الجمعة والعاشر من شعبان المؤرخ - تقدم الشيخ أبو سعيد يخلف بن الحسين بالموحدين أعزهم الله وأجارنا، ثم تلاهم السيد أبو زكريا بالعرب، ودام هذا الجواز خمسة أيام، ثم تحرك أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين رضي الله عنه من المهدية يوم الخميس الخامس عَشَر من شعبان المؤرخ، وأجاز بالجميع الباقي: بالشيخ أبي محمد عبد الواحد بن عمر، ووزيره، وبني الجماعة، [309] والحفّاظ والطلبة من أهل الحضر والعبيد على ما تقدّم من ترتيب المشي والحركة، ونزل بالموضع المعروف بالحمّام[2] على مقربةٍ من وادي سبو بالمعمورة، فاجتمع في عسكر الموحدين عشرة آلاف فارس. وفي عسكر العرب عشرة آلاف فارس، دون المتطوعة من الناس والمجاهدين. وقد كان تقدم مع السيد الأعلى، المجاهد الأسنى، أبي حفص، وقبل ذلك مع الشيخ المرحوم أبي حفص أيضاً - من العساكر ما قد ذكرتهم، فاجتمع في الأندلس من العساكر عددٌ عظيم، وظهر بهم الفتح الجسيم، واتصل سير أمير المؤمنين

(1) الموصلي نسبة إلى موصل قرية بأشونة، وإليها ينسب عبيد الله بن خليفة الذي ولي قضاء اشبيلية على عهد اللمتونيين ... ونعتقد أن للشيخ هنا صلة بابن الموصلي القاضي.
ابن الأبار التكملة «كوديرا» رقم 1511.

(2) الحمّام بتشديد الميم (EL — Hamâm) هو المكان المعروف بهذا الإسم إلى الآن على بعد أحد عشر كيلومتراً جنوب شرقي (مدينة القنيطرة) Huici page 249

حتى إلى البحر بقصر مصمودة[1]، وابتدأت العساكر بالإجازة من أول شهر رمضان من السنة المؤرخة، وأجاز البحر هو مع حاصته في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم المذكور، وتلقاه أشياخ أهل إشبيلية وقرطبة وجميع أشياخ الأندلس بجزيرة طريف[2]، ثم تحرك رضي الله عنه بالوصول إلى حضرة إشبيلية، فدخلها يوم الجمعة الثاني عشر من شوال بعد صلاة الجمعة من سنة ست وستين وخمس مائة المؤرخة، على مثل ما ذكرته من التبريز الحفيل، وخروج الناس إليه للتبرك به بالإسراع والتعجيل، بما دلّ على طاعتهم له وسرورهم به أدل دليل، وأقام فيها عشرة أيام، ثم رحل إلى قرطبة في الثالث [310] والعشرين من شوال، ووصل قرطبة في غرة ذي القعدة، ووجه عسكراً مباركاً منها إلى طليطلة قدم عليه أبا محمد عبد الله بن أبي حفص بن تفريجين، وأشياخاً من الموحدين، فأجاز وادي تاجه[3]، وغنم بطاحها وما حواليها وانصرف إلى قرطبة سالماً غانماً، واستقر العسكر بقرطبة في داخلها وفي خارجها على صفتي الوادي مدة إقامة أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بها إلى آخر ذي الحجة من سنة ست وستين حين انصرافه إلى إشبيلية، ولم ينزل بإشبيلية من دُورها إلا نحو ستين داراً لأشياخ الموحدين خاصّة، واشترى فيها مائة دار من مال نفسه لمَن وفد إليه، رفقاً منه بأهل إشبيلية رضيَ الله عنه، وقسّم الموحدين على البلاد وعلى الأنظار بالسكنى مدة إقامته بجزيرة الأندلس إلى أن انصرف عنها

(1) أنظر التعليق رقم 1 صفحة 128.

(2) أنظر التعليق رقم 3 ص 218.

(3) وادي تاجة (Tajo) أحد الأنهار الأربعة التي تنحدر في المحيط ميتو ـ دبرُو ـ يانة وهو ينبع من الجبل الذي يقع شمال شرقي قونْكة ويصب عند مدينة لشبونة وقد ورد في الروض المعطار عند وصفه أنه نهر عظيم يشق طليطلة، وأنه يخرج من بلاد الجلالقة ويصب في البحر الرومي الحميري ص 62.

ذكر أوامره العزيزة عند احتلاله إشبيلية ووصوله من مراكش إليها

وعندما احتل بها أخّر محمد بن أبي سعيد المعروف بابن المعلم[1] عن أعمال المخزن بإشبيلية والأندلس وعزله عنها، وأمره بالمشي إلى قرطبة لمحاسبته والوقوف على عمله، وقدّم على أعمال إشبيلية أبا داود يلول بن[2] جلداسن، وهذا التأخير له [311] والعزل لنقد في أفعاله وأعماله منذ أعوام، لم يزل يتكرر عليه الفكر فيه، إلى أن أدى به إلى مقتله وميتته حسبما أذكره في هذا التاريخ[3] بعد هذا، وعندما وصل إلى قرطبة جُعل لمحاسبته أبو القاسم بن عساكر[4]، وأبو عبدالله بن محسن[5] كاتب العسكرية، وأُمر بالحضور على تسطير عمله الفقيه أبو محمد المالقي والكاتب أبو الحكم بن عبد العزيز[6] يشهدان على كل ما يسطره، دام ذلك إلى آخر شهر ذي الحجة من عام ستة وستين وخمس مائة عند انفصال أمير المؤمنين من قرطبة إلى إشبيلية، ولما دخل أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين إلى إشبيلية على الهيئة الحافلة من السرور والتبريز العظيم الكريم، الذي لم يرَ الناس مثله في الأندلس في الحديث ولا في القديم، قال الأستاذ ابن سيد[7] يمدحه ويهنئه

(1) راجع التعليق رقم 2 ص 142

(2) راجع التعليق 1 ص 142

(3) يعني في السفر الثالث وقد أفادنا هنا ابن عذاري نقلاً عن السفر الضائع أن ابن المعلم هذا انتقلت عليه أحجار شبعة فأمر بسحبه وأخذ ما بيده فلم يبق له سبد ولا لبد وتفرقت جميع أمواله شذراً مذراً وصرفت بعد محنة طويلة عقبه سنة وثلاث وسبعين وخمس مائة راجع التعليق رقم 2 ص 142

(4) راجع التعليق رقم 3 صفحة 138

(5) ورد نعته أحياناً بكاتب ديوان التمييز أنظر التعليق رقم 2 ص 347

(6) لم نقف على الترجمة لهذا الكاتب في معاجم الأدباء الموحدين التي بين أيدينا

(7) يذكر ابن صاحب الصلاة هنا (ابن سيد) دون أن يميز هل ما إذا كان يعني ابن سيد المالقي أو ابن سيد الأشبلي لكننا ـ وقد عرفنا أن الأول توفي بعد سنة 560 بيسير، وأن الثاني لم يتوف إلا سنة 576 نرجح أنه قصد إلى ابن سيد الأشبلي المعروف باللص هذا وقد كان في من تحدّث من الشعراء بهذه المناسبة الشاعر أبو العباس الجراوي الذي قال في إحدى قصائده يشير إلى الطوائف المتمردة

تسائلُ النار فيس بكلّ أرض ولا طارتْ ولا سقلت خُططاها

ويذكر حال ابن مردنيش، ويصف بروز الناس إليه يوم وصوله (كامل)

السَّعْـدُ يقـدُم والعـزائـمُ تصـدُقُ   والنَّصْـرُ بينهمـا يخبُّ ويعْنَقُ
وأمـامَهـا ملكٌ أغَـرُّ يـحفُّـهُ   خَبْشٌ تعضُ بـه البـلاد وتشْرقُ
مَـلأ البسيطةَ مِنْـهُ بحْرٌ زاجِـرٌ   في لُجْتَيْـه كـلُّ بحْـرٍ يغْـرَقُ
وحـلا رياضـاً للنّـواظِـرِ أَطْلَعَتْ   فيهـا الـدِّمَـاءُ أزاهـراً لا تَعْبَقُ
راع المَمَـالِـك فـاتَّقَتْ بمُلُوكِهـا   حتّى كـأنَّ بهـا خُبالى تُطلق
[312] حُنَّ ابنُ سَعْـدٍ[1] بـالنفـاق جـنونُـه
وطـغى إلـى أنْ بـات فـيـه الأوْلَـق[2]
نُـظمت لـه حـرد العتاقِ تمـائمـاً   لَبِسَتْ على أهْـلِ الجُنُـون تُعَلَّق
فمضى حصيـراً[3] إذْ تَيَقَّـنَ أنّـهُ   إمَّـا قـتيـلٌ أو أسيـرٌ مُـوثَـقُ
غُـرِ الشّقي ببـابِكُم عن أرْضِـه   جَـهْـلاً وطـنٌّ بـأنّـهُ لا يُـلْحَـقُ
أوَما رأى شَمْسَ الضُّحَى في جوِّهـا   والمغـربِ الأقْصَى لهـا والمَشْـرِق
وإلى الـذُّنـوب فـأوبقتـه كَثْـرَةً   إن الـذّنـوبَ إذا تـوالـتْ تُـوبِـقُ
ولعَـلّـه قـدْ كـان يعتِـقُ رقّـهُ[4]   مَلكٌ إذا مَلَـكَ البـريّـةَ يُعْتِـقُ
مَلكٌ أفاضَ عَلى الحَـزيـرةِ رحمـةً   أحْيَـا الـرجـاءَ بهـا حَيـاةَ المُغـرَقِ

* ويقول في قصيدة أخرى همزية

لـو كـانت الجـوزاء من أعـدائـه   لم تنـجُ من غـاراتـه الجوزاء!

وعلى عادة ابن صاحب الصلاة فإنّه لم يأته بشعر الجراوي الذي ـ لولا صاحب البيان المغرب ـ لظلّ في عداد المفقودات

وانظر التعليق رقم 1 صفحة 76 والتعليق رقم 1 صفحة 99 والتعليق رقم 3 صفحة 298 ابن عذاري البيان المغرب (مخطوط) ص 83 ـ 84.

(1) يعني سعد ابن مردنيش، وفيه يقول الجراوي أيضاً بهذه المناسبة من قصيدة مرت الإشارة إليها

حـطوتْ إذ هلتْ عقلَ ابن سعْـدٍ   ورادتْ عـن لـواحـظـه كـراهـا!

(2) الأولق: المس من الجنون أي لدرجة أنه أمسى متلبساً بالجنون! هكذا يظهر لي.

(3) من معاني الحصير السجين، ولا نبعد أن يكون الناسخ أبدل السين بالصاد كما فعل بالفسيح حيث جعله فصيحاً انظر التعليق رقم 3 صفحة 355.

(4) لم نهتد لصلة البيت هذا بالبيت قبله ولعل هنا بتراً لبيت رابط.

وَافَى لِيَرْتَقَ فتقَهـا لَمّـا رَأَى   أنْ لا سِـواهُ يَسـدُّه أو يَـرتـقُ
ولقَـدْ تيقَّنَ أن سَتُفْتَـحُ فـارِسٌ   بجُنُـودِه قَسْـراً وتُفْتَـح جِلّقُ[1]
وَليَ الخِـلافَـةَ فـاستقَـلَّ بعِبْئِها   ولقَـد تُهَـدُّ بهَـا الجبـالُ وتَقْلَقُ
حسُنَتْ وضاعفَ حُسْنَها فكـأنَّـه   تـاجٌ مُحَلّى وهْيَ فيـه مَفْـرِقُ
مـا زالتِ الأيامُ خُرْسـاً قبْلَهُ   فـرَجَعْنَ فُصْحـاً عَنْ عُـلاه تَنطِقُ
مَنْ لِلمُلوكِ بـأنْ ينَـالُوا شَأوَهُ   وَلَـهُمْ إذا جـاروه ساعٌ ضَيِّـقُ
إن كـانَ قصَّـر كـلُّ مَلْكٍ دُونَـه   فـالرُّخُّ قصَّـرَ عَنْ مَداه البَيْذَقُ[2]
عَـمَّ البـريـةَ رِفْقُـه فكـأنّـه   لَهُمُ أبٌ حـانٍ أو ابـنٌ مُشْفِـقُ
يُعْطِي الجـزيـلَ ووجهُـه متهلِّلٌ   وكَـذا السَّحـابُ إذا تبَجَّسَ يُغْـرِق
أبـداً يسحُّ بمـا تسحُّ بنـانُـه   ويُميرُهـا فـوْقَ الهشيم فَيُـورِقُ
كَـرَمٌ يـريـدُ ذُو الغِنَى فيـهِ غنى   أبـداً ويثْـرِي إن عـرَاه المُمْلِقُ
[313] شَقي العِدى منه بِسَطْـوَةِ محنَقٍ
عَـجَبـاً وَهَـل يشتـاقُـه مـا يُحْنِـقُ؟
وَافَى فـردَّ عَلى الـزمـان شَبـابـهُ   وكَـسَـا بـلاهُ جِـدَّةً لا تَـخلقَ
وَحَلا فراءُ الـدَّهْـرِ مِن صَدَإٍ بهَـا   فـأعيـدَ فيهـا مـاؤُهـا وَالـرَّوْنَقُ!

(1) لفظة أعجمية اسم لدمشق، وقيل اسم لموضع بقرية من قراها قال حسان بن ثابت الأنصاري

لله در عـصـابـة نـادمـتـهـم   يـومـاً بجِلّق في الـزمـان الأول!

هذا وقد كان الموحدون ـ كما يتأكد من خلال آثارهم ـ يتوقون لأبعد من الرقعة التي عرفت لهم، فقد كان هؤلاء المقاومة يطمحون إلى (وحدة إسلامية) تربط بين سائر أجزاء العالم الإسلامي. ونرى الشعراء ـ وهم لسان حال الدولة ـ يتحدثون عن فتح فارس ودمشق، أو عن المشرق والمغرب.
الدكتور أحمد مختار العبادي، الموحدون والوحدة الإسلامية، مجلة التربية الوطنية ـ مارس 1692 ص 16 ـ 22 ـ عدد ابريل ص 21 لـ 31 ـ وانظر أشعار ص 9 و 13 من المن بالإمامة وص 118 من ابن عذاري.

(2) يعتبر الرخ في اصطلاح أهل الشطرنج برجاً من الأبراج وهو يتحرك أماماً وخلفاً بينما يعتبر البيذق جندياً يقتصر اتجاهه على الأمام.

أو ما تَرَى الأيَّامَ تَنْدَى نَضْرَةً
مُذْ حَلَّ حِمْصاً[1] والليالي تُشْرِقُ!
وقفُوا على سُوقٍ لرؤية وَجْهِهِ   وسودُهمْ أنَّ الرؤوس الأسْوُقُ!
رَمَقُوا بأبصارٍ إِلَيْه، وعِنْدَهُ   أنَّ القُلُوبَ لهَا عيونٌ ترْمُقُ
بَرزُوا ليَوْمِ بُرُوزِه في عارِضٍ   يَعْيى اللِّسانُ لوصْفِه والمنطقُ
مِنْ كُلِّ دِمْرٍ كل ما حَضَر الوَغى   سلَتْ[2] به حوْماتُها والمَأزِقُ
يسْعى إلى المَوْت الزُّؤام، ووجهُهُ   طَلْقٌ وفي درْعيْه أفْعى مُطْرِقُ
ولطالَمَا تَهْدي الدِّمَاءُ لأنفِهِ   زهرَ الربيع فما يَنِي يَسْتَنْشِقُ
شَقِيتْ بعَزْمتهِ فلاةٌ وحْشَةٌ   ومطَهم نَهْدٌ وعَنْسٌ خَيْفَقُ

حضور أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين (رض) عيد الأضحى بمدينة قرطبة وعسكره معه

ولما كان صبيحة يوم العيد خرج على عادته من الوقار والسكينة إلى الصلاة بموضع الشريعة[3]، وصلّى الخطيب أبو محمد المالقي به، وخطب الخطبة المعلومة، ثم دعا أمير المؤمنين للناس بدعائه المبارك، وسلم عليه أشياخ الموحدين الكبراء وأبناء الجماعة ومن يليهم، وذبح [314] الكبش بين يديه، وانصرف إلى دار الإمارة بقرطبة، وانصرفت العساكر والناس إلى منازلهم لترتيب عيدهم على مجرى السنة بانصرافه. وجلس في اليوم الثاني من عيد الأضحى المذكور عند الشروق في مجلس اليمن من قصره بقرطبة مجلس السلام عليه والتهنئة إليه في أبهته الشريفة، المنصورة المفخمة المنيفة. وأدخل الوزير أبو العلى إدريس بن أبي إسحاق بن جامع إلى المجلس العالي

(1) حمص: اشبلية
(2) يوجد في الأصل غموض عند قراءة هذه الكلمة إذ أنها كتبت هكذا (سات) لكن الظاهر أن الصواب (سلت)
(3) أنظر التعليق رقم 1 صفحة 214

مَن تقدمت عادته بالدخول من أشياخ الموحدين الكبراء وأبناء الجماعة ومن يليهم على عادتهم بحسب منازلهم، وطلبة الحضر والفقهاء والقضاة والكتاب والأولياء وأهل الوفود ووجوه أهل قرطبة من ذوي الطلبة والتعين من أرباضهم، وسلم جميعهم واحد بعد واحد يعرّف باسمه، وإن كان ممن يتميز يعرّف الوزير والفقيه أبو محمد المالقي باسمه ونسبه وبلده، ويبايع ويقبِّل اليد المباركة للبيعة له ويخرج

ودخل معهم الشعراء والأدباء بما صاغوه من أشعارهم في المديح والتهنئة. فقام عبدالله بن الشيخ الشاعر محمد بن إبراهيم بن المنخل الشلبي[1] منشداً هذه القصيدة والوزير أبو العلى واقف، والكاتب أبو الحسن بن عياش كذلك يحسن أبياتها، وقال: (كامل)

شَرَفُ الخِلافَة أنْ ملكت زِمامَهَا   وغَدَوْتَ مِنْ عقب الإمام أمامها!
وافتْك تَبْتَدِر (وا)[2] الرضى إذْ رُمْتَهَا
ولَشَدَّ مَا امْتَنَعَت عَلى مَنْ رَامَهَا!
[315] طَبَعَ الإلاهُ لَهَا حُسَاماً صَارِماً
يحْمِي حَوَايَنَهَا فكُنْتَ حُسامَهَا
وراتْ عُداةُ الله أنْ حِمَامَهَا   منْ قَيْس غيلانٍ[3] فكنتَ حِمامَها
فعَلى رماحك أن تشُقَّ جُيُوبَهَا   وعَلى سُيُوفك أنْ تُفَلِّقَ هامَها

(1) مكنيه ابن عذاري أبا محمد، ويتفق معه ابن صاحب الصلاة في أنْ أباه هو محمد، وقد ترجم ابن الأبار لشاعر قد تكون له صلة بهذا فهو أبو محمد عبد الله من أهل شلب صحب أبا بكر بن المنخل وأبا عمر بن حربون، وكان أديباً نبيهاً من أهل الذكاء والتيقظ يقرض أبياتاً من الشعر التكملة - كوديرا - رقم 1427
(2) كذا في الأصل وواضح أن زيادة الواو في غير محلها
(3) يجعل الناسخ هنا نقطة واضحة فوق العين في أصل المخطوط ولم نكن لنعير هذا الصنيع التفاتا لولا ما وجدناه في البيان المغرب من نصه على ضبطه (بالعين المعجمة) مما يدعو إلى الشك في الناسخ أنظر صفحة 35 من مخطوط ابن عذاري، أنظر التعليق رقم 2 صفحة 300 - اليدق 22 - لسان العرب -

وعلى حُيُرِثِيك أنْ تُـدَوّخ ارضَهَا　　　وتـدُوسَ في عـرصـاتِهـا أصْنـامَهَـا
وَعلى الحـلافـةِ أن تَـلُـود بسَيِّـدٍ　　　يُجْرِي على سُبُلِ الهُـدى أحْكامهـا
ملكٌ يحيرُ على الزّمانِ، فإن تُصِم　　　حـرّاً بـوادِيه اللّيالي، ضَـامَهَـا!
قسْطاسُ عَدْلٍ لا يَمِيلُ، فإنْ رأى　　　ميْـلَ الشُّريعـة أمّهـا فـاقـامَهَـا
يُطْفِي الحُروبَ إذَا توهّجَ جمْرُهَا　　　ولـرُبَّمَا خَمَـدتْ فشبّ ضِرامُهـا
وإذا أُسُودُ الحرْبِ هَـاجَ عُرامُهَـا　　　عَـالَى بحـدُّ المَشْـرفِي عُـرامَهَـا
وإذا المَخَـايِـلُ أخْلقَتْ أنـوَاؤهَـا　　　أجْـرَى عـوارفَـه فكنَّ غُـمـامَهـا
وَإذَا بُـرُوق المُـزْن لُحْنَ كـوادِبـاً　　　صَـدَقَتْ بُرُوقُ نَـوالِه مَن شَـامَهـا
مَـا الجُـودُ إلاَّ مـا تُفيض بنَـانـه　　　لا مَا تفيض العُرْب فيه سهامُهـا
ما البّأسُ إلا ما تـصمّـمَ سَيْفُـه　　　لا يصمِ[1] بعضُهـا صمصامَهَـا
مـا الـزّجْـرُ إلا ما يجرُّ خلافُـه　　　لبْسَ الـذي وسمتْ بِـه أيـامَهَـا
مـا السُّعْـدُ إلا مـا ينـالُ وفُـودُه　　　وذَرِ السُّعُودَ فقد غـزت خُدَامها
تَـنْـهَـلُّ بالآلاءِ مـنْـهُ راحَـة　　　لا يَنْـزِفُـونَ على الـوّال جِمَـامِهـا
طـلْقٌ إذَا بـرقتْ أسِرَّةُ وجْـهِـهِ　　　شِمْتَ الأزَاهِـرَ والحيـاءَ كمـامهـا
طلْقٌ كمـا اختـار النّدى، ونَسَالـةُ　　　تركتْ لهَـا أسْدُ الشرى آجـامَهـا!
حَـاز الـمكـارمَ قِـنيـةً ووراثـةً　　　ورأى المحـامدَ حليـةً فـاغْتـامَهـا
[316] للهِ رعيُـك في رعـايـةِ أمّةٍ　　　ذَعَـرتْ دياتُ[2] المشركينَ سَوامَهـا
أسكنتَهـا أرْسَى محـلٍّ بَعْـدَمَـا　　　كـادتْ تقوّضُ للجلاءِ خِيامَهَـا!
لمّـا رأيتَ الـدِّيـنَ أظلمَ حَـرّهُ　　　والحربَ قَدْ سَدَلَتْ عَلَيْه قَتامَهـا
أقبلتَهـا شُعْثَ النّـواصي شُـزَّبـاً　　　جُرْداً تُبَـارِي فِي القَـلاَةِ سَمَامَهـا[3]
مِنْ كـلِّ مُشْرِفـة التَّلِيل[4]، كـأنَّمَـا　　　عَقَـدُوا سَابِقَـةِ النَّخيل لجَـامَهَـا

(1) كذا في الأصل ويظهر أن هنا كلمة (ما) محذوفة أي (لا ما يصمي بعضها صمصامها) وقد روى البيت في ابن عذاري بصورة مشوهة. أنظر صفحة 183 من المخطوط
(2) يعني أن العاهل لكثر ما يبذل من ديات للمشركين - إعزازاً لرعيته - فإن السوام - والديات كثيرة - يتملكها الفزع .. لأن على حساب حياتها تكون الأداء
(3) أصلها حملتها تلي فالك، والسمام ضَرْبٌ من الطير دون القطا في الخلقة
(4) التليل العنق، يعني طويلة العنق.

وأغـرّ وضّـاح الححـول مـطهّـم　　　يخْلُو إذا خـاضَ العمارَ ظَـلامَهَـا
تشْـري بخيْـر عصـابـة قَيْسِيـة　　　تَشْـرِي الفُتُـوح مشيحـةً قـدّامهـا
هُنَّ القِيسِيّ ضَـوَامِـراً فـإذَا رَمَى　　　عَنْ نَـزْعِهـا الأعْـدَاء كنُّ سِهَـامَهَـا
يَلقى العـداة الرعبُ دُونَ لِقَـائهـا　　　فـيـزِلُّ قَبْـلَ قِتَـالِهـا أقْـدَامَهـا
فلْدَتُمْ مِنْـهَـا الأهَـاضِب حِلْيَـةً　　　كـادَتْ تُغَـالطُ في الفُـرُوع حَمامَهـا
هي نِعْمَـةٌ لا تستقِـلُّ بشُكْـرِهَـا　　　إلا لسَـانُ الهـمتُ إلـهَـامَهـا
فـإذَا تَمطّى بـالقَريحـةِ وصْفُهَـا　　　فضَـحَ التَّمَطّي نثْـرَهـا ونـظَامَهَـا
فـاهْنـأ أميـرَ المُؤمِنيـن مـدَوْلَـةٍ　　　عَـقَـدَ الإلاهُ ذِمَـامَكُـم وذمـامَهـا
ورمَتْ بـرمَّتِهـا إليْـكَ، وإنَّـمَـا　　　شَـرَفُ الكَرائم أن تخُصَّ كِـرامَهَـا
فلرُبَّ نَـابِيـةِ السَّنَـام منيعـةٍ　　　ذلَّلْتَهـا حتّى وطيتَ سِنَـامَهَـا
ومنِيعَـةٍ صعُبَـتْ وعـزَّ مـرامُهـا　　　سهّلْتَ بـالبيضِ الرِّقَـاقِ مَرَامَهَـا
قُـلْ لِـلأقَـاصِـرَةِ الّـذِين تَمَـرَّدُوا　　　وَافَى مُشِم المَـاردين رغـامَهَـا
أخذ الشعابَ على الشُّعوب فإنْ عَدت　　　سُبُلَ الهُدَى سدُّ الشعاب أمامَهـا
وأرَى الشَّقِيّ بنَ الشقيّ تغُرّه　　　فِئَةٌ أضَلُ ضَلالُهـا إسْـلاَمَهَـا
[317] لَيْسَ ابنُ سَعْـدٍ حلفَ سَعْـدٍ إذْ غَـدَا
حـلفَ النّـصارى عـاصداً أحْكـامهـا
فلسَوفَ يُصْبِحُ بـالقضَـاء مُجَـدَّلاً　　　إنْ لـم تُـطهِّـر نفسُـه آثـامَهَـا
ويمـدُّ للتَّـوْحِيـد كفُّ ضَـرَاعـةٍ　　　بعتَـابِ نَفْسٍ راحصاً[1] أحْـرامَهـا
أنّى يفـوتُـك خـائنٌ ولـو اعْتلى　　　دَارَ المجـرّة[2] وارتَقى أعْـلامَهَـا
هَيْهَاتِ يُفلِت عزمَكم ولـو امْتطى　　　زُهْـرَ الكواكبِ واحْتذَى بَهْرامهـا[3]
وإليْكُـم وفـدَ العَبِيـدِ تَسُـوقُهم　　　هِمَمٌ شفيتُم هِيمَهـا وهُيـامهـا
يتـقـدَّمُـون مَحَـبَّـة وتَعُـوقُهُـم　　　فِتَنٌ تَعُـوقُ عَنِ الحُفـوف مسامَهـا

(1) رحص الثوب غسله، ومنه المرحاض
(2) منطقة في السماء قوامها نجوم كثيرة لا يميزها البصر فيراها كبقعة بيضاء
(3) البهرام اسم المريخ، وإياه عنى حبيب بن أوس:
لـهُ كـبـريـاء المُشْـتـري وسعـوده　　　وسـورةُ بهـرام وطـرْف عـطارد

وتَمْلَؤُ الأَزْمَانَ أعيـاداً كَمَا حلَّيتُم بسَنيائكُم أيامَهَا
وتقبَّلُوا قَصْدَ العَبِيدِ فقَصْدُكُم عَمَلٌ يُطابِق هَدْيَها وطعامَها
وتكفَّلَ الرَّحْمنُ نصرةَ مُلكِكم وأمدَّ مدَّة عُمْرِكم وأدامَها

سنة سبع وستين وخمس مائة

انصراف أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين من قرطبة إلى إشبيلية واستيطانه فيها وذكر أوامر العزيزة في مصالحها ونواحيها

وأنه لما صح عنده أن أخاه السيد الأعلى المؤيد المجاهد الأسنى أبا حفص قد أخذ في الانصراف من غزوته، ومن حصار ابن مردنيش في مرسية واستيلائه على أكثر بلاده، وأن انصرافه إنما هو للتبرك بالاجتماع وللمذاكرة فيما فتح الله في غزوته من البلاد [318] والأسقاع، واستعجل هو بالانصراف فدخلها يوم الأحد الثاني من شهر المحرم من أول السنة المؤرخة، وقد كان أمره الكريم نفذ بعمل القنطرة(1) على الوادي(2) لمصالح الناس وإجازة العساكر عليها ومرافق أهل إشبيلية وأهل الشرف(3) والأنظار، فابتدأ العرفاء والصناع العمل فيها والنجارة والهندسة لوضعها على الوادي يوم السبت أول يوم من المحرم سنة سبع وستين المؤرخة ـ أمس وصول سيدنا أمير المؤمنين ـ فاتصل العمل فيها وزاد بحضوره الاجتهاد، والنصح والاقتصاد، فكملت في اليوم السابع من صفر من سنة سبع وستين المؤرخة وحضر أمير المؤمنين يوم كمالها حتى عُقد الجسر منها ووضع على الوادي وكان يوماً حفيلاً من قرع

(1) أورد الأستاذ ميلتشور أنطونيا وصفاً دقيقاً لهذه القنطرة مأخوذة من كتاب تاريخ اشبيلية للمؤرخ المسيحي مورجادو و(ص 29) وهو وصف يتفق تماماً مع ما سيذكره ابن صاحب الصلاة وقد تحدثت عن هذه القنطرة (حوليات تاريخ اسبانيا) التي أمر بتأليفها الملك الفونسو العاشر المعروف بالحكيم (ص 760 ـ 762)

Melchor Antona: Sevilla y sus monumentos arabes 1930 p. 61 — 83

(2) هو وادي اشبيلية (Guadalquivir) راجع التعليق رقم 2 ص 165

(3) أنظر التعليق رقم 5 صفحة 67

الطبول، وكمال ما أمر فيها من المأمول، من حضور الكتائب والجنود، وعقد الألوية والبنود، وفي الخامس عشر من المحرم من هذه السنة كان وصُول السيد الأعلى المؤيد أبي حَفْص بن الخليفة أمير المؤمنين من غزوته من مرسية إلى إشبيلية بجميع عساكره، وتلقاه أخوه أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين رضي الله عن جميعهم على ميلين من إشبيلية بتبرير عظيم، وسُرُورٍ جسيم ودخلوا إشبيلية خير دخول، وحلوا بها أسعد حلول، وانفردا في السلام والكلام والرأي أياماً، واتفقا على الخير الذي نظم الأمر العزيز نظاماً، [319] وأسكنا بالتّصافي بينهما الأرواح والأجساما(1)، وعزما أن يكون أمرهما في النظر لحماية جزيرة الأندلس الإصراخ والإلحاما. فأول ما نظروا فيه تعجيل ميرة كبيرة إلى بطليوس من القمح والشعير والآلات المعينات والأقوات المقتوتات على أربعة آلاف بغل إليها في صحبة عسكر مبارك من الموحدين أنجدهم الله، والعرب يسيرون بالميرة والمرافق والمصالح إلى بطليوس المذكورة حماها الله فحضر العسكر المبارك عند الأمر العزيز إليهم، وجازوا على القنطرة المصنوعة الموضوعة على الوادي إلى اطريانة(2)، وذلك في اليوم الثالث من إكمال عملها الثامن من صفر سنة سبع وستين وخمس مائة المؤرخة، وهذا العسكر أول عسكر جاز عليها، فأوصل الميرة إليها على أوفى الأمن وأحياها، وخصها بالنظر المتدارك عن الأمر العزيز وحباها، وانصرف بعد توصيل الميرة سالماً وغانماً ظافراً، وذلك أن أبا العلا بن عزون بنصحه للموحدين وحبه أمير المؤمنين حرّضهم أن يجعلوا طريقهم على حصن لبون(3)

(1) راجع التعليق رقم 4 ص 154

(2) أطريانة أو طريانة (Triana) حاضرة من حواضر اشبيلية ينسب إليها الفقيه عبد العزيز الطرياني والشاعر الأديب أبو عمران موسى الطرياني، وجاء في دليل بيديكر أن إليها ينسب الفخار الطرياني المشهور وكان يصنع بها أحسن الزليج الأشبيلي، ويوجد إلى الآن زقاق بمدينة فاس يحمل اسم طريانة قرب المدرسة العنانية

Baedeker: Espagne et portugal P. 441

الحلل السندسية (أول) ص 219

(3) حصن لبون (Castillo de Lobon) يقع شرقي مدينة بطليوس قريباً منها، وقد سقط حرف الباء